السياسة بين الطهارة والنجاسة .. محمد عوض

السبت 18 ديسمبر 2010 12:12 م

18/12/2010

* محمد عوض

انقسم الناس إزاء السياسة أقساما مختلفة :

• فمنهم من رآها رجسا من عمل الشيطان لا يجوز الاقتراب منه صونا لدينهم وأخلاقهم ، على اعتبار أنه – في تصورهم – لكى ينجح من يمارسها فإنه لا بد له من أن يتنازل عن أخلاقه ومبادئه وقيمه ، لأن السياسة - عندهم - لا ميدان لشيء من ذلك كله ، وأعلن هذا الفريق رأيه صراحة في قوله : (لعن الله ساس ويسوس وكل ما اشتق من هذا المصدر) لأنها تعتمد مبادئ مفسدة للأخلاق من نحو : (الذى تغلب به العب به ..) وخلافه ، وقد عزز هذا التصور ممارسات وأفعال السياسيين لا سيما في مواسم الانتخابات

• وفريق آخر رأى ضرورة المشاركة فيها والتخلق بأخلاقيات أهلها ، ورأى ضرورة الفصل بين الأخلاق التي ينبغي أن يتخلق بها الإنسان في نفسه ، وعلى مستواه الفردي ، وبين الأخلاق التي يتخلق بها على المستوى الجماعي أو الحياتي أو السياسي ، (فهذه نقرة وهذه نقرة) ، وهذا الصنف لا يرى حرجا في أن يصلى ويزكى ويحج ويعتمر ويعمل أعمال الخير ، ثم هو ينافق سياسيا أو يبحث عن منفعته الفردية ....الخ .

وهؤلاء هم الذين ربوا تربية علمانية خالصة أشاعت في تربيتهم مفهوم أن القرآن (كتاب ديني) لا علاقة له بشئون الدنيا ، فهو يقرأ على الموتى وللتبرك وليتكسب منه الكسالى ، وكرست ازدواجية التعليم هذا الفهم .

وبالتالي انفصل القرآن عن النخبة السياسية والأكاديمية في الأمة .

• وهناك طائفة أشد علمانية من هؤلاء :

وهم جماعة من المغفلين المسلمين الذين خدعوا بعلمانية (الدول الغربية) ، وأن الغرب قد بنى تقدمه على (الفصل بين الدين والدولة)، واستقر في أذهان هؤلاء (المغربين) منذ القرنين الماضيين أن الدولة (ظاهرة مدنية) ، يجب أن يكون لها استقلال مباشر عما أسموه (بالظاهرة الدينية) ، ولم يلتفت هؤلاء إلى أن الدولة في الغرب لم تضع الدولة في مواجهة الدين ، بل قامت بتنظيم العلاقة بين الاثنين بحيث يحدث ذلك التنظيم بينهما نوعا من التعاضد والتماسك في تحقيق أهداف الأمة ، أما المقلدون من أبناء أمتنا وجلدتنا ، فقد فهموا أن المطلوب هو التخلي التام عن الدين ومحاصرة القرآن كما فعل (أتاتورك) ، وكثير من حكام المسلمين بعد ذلك بأساليب متنوعة .

وبرز بين هؤلاء وأولئك فريق الاعتدال والوسطية ، الذى أخذ بضرورة الاشتغال بالعمل السياسي انطلاقا من شمولية الإسلام ، وشمولية وثبات النظام الأخلاقي فيه ، فنزل إلى هذا الميدان ليؤكد للناس على أن أخلاق الإسلام كل لا يتجزأ ، وأن بالإمكان تجسيد الأخلاق الإسلامية في مجالات الحياة كلها بما فيها الجانب السياسي ، فليس هناك ميدان من ميادين الحياة يجوز للإنسان أن ينفصل فيه عن أخلاقياته فيعدو عليه تلون أو غدر ، لأنه رأى هذا الشمول وهذا الثبات في القرآن الكريم ، وفى سنة وسيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – التي هي التطبيق العملي للقرآن الكريم ، وفى تطبيقات أصحابه الكرام – رضى الله عنهم - .

ومن أمثلة ذلك – في الجانب السياسي تحديدا :-

1. في صلح الحديبية صالح رسول الله- صلى لله عليه وسلم – قريشا على أن من أتاه في المدينة من قريش مسلما بغير إذن وليه رده إليهم ، ومن أتاهم من المسلمين بغير إذن الرسول – عليه الصلاة والسلام – لم يردوه ، وبينما الكتاب يكتب إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ، قد خرج من أسفل مكة ، حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين ، فقال سهيل : هذا أول ما أقاضيك عليه : على أن ترده فقال النبي – صلى الله عليه وسلم - : إنا لم نقض الكتاب بعد ، فقال : فو الله إذا لا أقاضيك على شيء أبدا ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم - : فأجزه لي ، قال : ما أنا بمجيزه لك ، قال بلى فافعل . قال : ما أنا بفاعل ، وقد ضرب سهيل أبا جندل في وجهه ، وأخذ بتلابيبه وجره ليرده إلى المشركين ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله فلا نغدر بهم .

2. أمر الله تعالى نبيه – عليه الصلاة والسلام – حين يخاف من قوم - بينه وبينهم عهود ومواثيق – خيانة أن يعلمهم بأنه قد نقض عهدهم حتى يبقى علمه وعلمهم بأنه حرب لهم وهم حرب له ، وأنه لا عهد بينه وبينهم ، (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ [الأنفال: 58]) ، فكيف طبق هذا الخلق الرفيع في مجالات العلاقات الدولية؟

كان معاوية يسير في أرض الروم ، وكان بينه وبينهم أمد ، فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضى الأمد غزاهم ، فإذا شيخ على دابة يقول : الله أكبر الله أكبر ، وفاء لا غدرا إن رسول الله- صلى لله عليه وسلم – قال : ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضي أمدها ، أو ينبذ إليهم على سواء .

فبلغ ذلك معاوية فرجع فإذا الشيخ عمرو بن عنبسة

وقائمة الأمثلة تطول ...

فمتى يعي هؤلاء هذا ؟ أم أنهم لا يريدون أن يعوا ؟ أم إنهم يعون ويتغافلون ؟

على كل فسيبقى الخلاف سنة من سنن الله تعالى في خلقه ، ولا يمكن حمل الناس على فهم واحد أبدا ، فهذا أمر ضد طبائع الأشياء

ومن في الناس يرضى كل نفس .. وبين هوى النفوس مدى بعيد

لكن المطلوب هو التخلق بأخلاق الاختلاف ، وأهمها : حسن عرض ما عندك وحسن الانصات إلى الآخر ، وحسن التزام أدب الحوار ، والتي منها كذلك : هدوء ورزانة ينبغي التحلي بها لترك الفرصة للحجة تعمل عملها مع الناس ، فالصوت العالي في ذلك دليل ضعف ، لكن في زمن اختلاط المفاهيم ، وانحطاط ثقافة الاختلاف يسود منطق : الصوت الأجهر والأطول وضعوه في الصف الأول والصوت الخافت والمتوانى وضعوه في الصف الثاني

باحث فى الدراسات الإسلامية